

الكذب مفتاح أبواب الشر

السنة السادسة عشرة
العدد ٩٣٩ - ٢٠ / جمادى الثانية / ١٤٣٢ هـ
الموافق ٢٤ / أيار / ٢٠١١ م

محاور الموضوع الرئيسية:

- ١ - ما هو الكذب.
- ٢ - الكاذب ملعون على كل حال.
- ٣ - أعظم الخطايا.
- ٤ - الكذب يُخرج من الإيمان.
- ٥ - بعض آثار الكذب.

الهدف:

التنبية إلى آفة الكذب ومخاطرها على شخصية المؤمن، وآثارها الوخيمة في الدنيا والآخرة.

تصدير الموضوع:

عن أمير المؤمنين عليه السلام:
«أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب»^(١).

(١) المحجة البيضاء، ج ٥، ص ٢٤٣.

ما هو الكذب؟

الكذب عند أهل اللغة هو مخالفة الواقع، سواء أكان ذلك عمداً أم عن غير عمد. والكذب المذموم هو الذي يطابق العمد في المخالفة. وفي الأصل، فإن القول بخلاف الواقع، والعمل بخلاف القول، والخلف بالوعد، وما شابه ذلك، كله من الكذب. وعلى

هذا، فالكذب منشأ كل هذه الخصال الذميمة.

ومما لا شك فيه أنّ الكذب من أعظم المعاصي، وهو مما يحكم العقل والنقل بقبحه، ومعلوم أنّ الجرأة على

الكذب في بداية الأمر، تورث في النفس انحرافاً عن الحق، وغفلة عن الحق وستراً وإخفاءً له؛ والمثابرة على هذه الحالة توجب تأصل الكذب في النفس حتى يصبح ملكة، وهي من أشنع ملكات الخلق السيئ وأخبثها، وهي التي يُسمى صاحبها كذاباً (على وزن فعّال).

ففي صحيح ابن الحجاج قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: الكذاب هو الذي يكذب في الشيء؟ قال: لا، ما من أحد إلا يكون ذلك منه، ولكن المطبوع على الكذب»^(١).

ولا يعني الحديث أنّ افتراء الكذبة أمر غير مذموم، إنما يعني أنّ تأصل الملكة واستحكامها يكون بالمثابرة على اقتراف هذه الآفة الملعونة.

الكاذب ملعون على كل حال:

قد يظن البعض أنّ الكذب المذموم هو الذي يكون في الأمور الخطيرة، أما إذا كان في قضايا صغيرة أو غير مهمة

(١) الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني، ج ٢، ص ٣٤٠، ح ١٢٠.

(٢) الكافي، ج ٢، ص ٣٢٧ - ٣٢٨، ح ٢٠.



إليه يصعد الكلم الطيب

البعض لا يعطي بالاً لما يخرج منه، ونجده يكذب لأتفه الأسباب. لكنّ الشريعة الغراء بيّنت أنّ للكذب آثاراً لا يمكن التجاوز عنها وأنّ الكذب نفسه أعظم الخطايا.

فعن رسول الله ﷺ: «أعظم الخطايا اللسان الكذوب»^(١).

وعن علي عليه السلام: «أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب»^(٢).

وقد حذّر الله سبحانه من شرب الخمر، وصرّح بتحريمه في كتابه الكريم، لما فيه من منابت للشور والاثام، ولكن، ورد أنّ الكذب شرّ من الخمر. ففي الحديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إنّ الله عزّ وجلّ جعل للشّرّ أفضلاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشّراب، والكذب شرّ من الشّراب»^(٣).

والكذب أعظم الخطايا لأنه أقبح الأخلاق. ففي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام: «تحفّظوا من الكذب، فإنه من أدنى الأخلاق قدراً، وهو نوع من الفحش وضرب من الدناءة»^(٤).

(١) كنز العمال للمفتي الهندي، ج ٨٢٠٣.

(٢) المحجة البيضاء للمولى الفيض الكاشاني، ج ٥، ص ٢٤٣.

(٣) مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (شرح كتاب الكافي) للعلامة الشيخ محمد باقر المجلسي، ج ١٥، ص ٣٢٩، ج ٢، ص ٣٢٩، ج ٣.

(٤) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ٧٨، ص ٦٤، ج ١٥٧.

– الكذب يُخرج من الإيمان:

قال سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ»^(٥).

وقد ذكر العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية عن تفسير ابن عساكر لهذه الآية في تاريخ دمشق، أنّ عبد الله بن جرّاد سأل النبي ﷺ: هل يزني المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك. قال: هل يسرق المؤمن؟ قال: قد يكون ذلك. قال: هل يكذب المؤمن؟ قال: لا، ثم أتبعها نبي الله ﷺ: إنّما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون»^(٦).

وقد ذكر أبو الدرداء مثل هذا الحديث، وفي ذيله قوله ﷺ: «إنّ العبد يزلّ الزلّة ثم يرجع إلى الله فيتوب، فيتوب الله عليه»^(٧).

وعن رسول الله ﷺ: «يُطبع المؤمن على كلّ خلة غير الخيانة والكذب»^(٨).

– بعض آثار الكذب:

١ – الكذب مهانة:

فعن علي عليه السلام: «جانبوا الكذب؛ فإنه مجانب للإيمان، الصادق على

شفا منجاة وكرامة، والكاذب على شفا مهواة ومهانة»^(٩).

٢ – خراب للإيمان:

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «إنّ الكذب هو خراب للإيمان»^(١٠).

٣ – يذهب بالبهاء:

فعن رسول الله ﷺ: «كثرة الكذب تذهب بالبهاء»^(١١).

٤ – يودي إلى جهنم:

ففي الحديث عن رسول الله ﷺ: «في جواب مَنْ سألته عن عمل النار، قال: «الكذب؛ إذا كذب العبد فجّر، وإذا فجر كفّر، وإذا كفر يعني دخل النار»»^(١٢).

٥ – مفتاح الخبائث:

عن الإمام العسكري عليه السلام: «جعلت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب»^(١٣).

ولا يخفى على اللبيب أنّ ما ذكرناه هو غيض من فيض قبائح الكذب ونتائجها التي تعود على صاحبها بالندامة والمهانة في الدنيا والآخرة. والجدير ذكره أنّ هناك موارد يجوز – بل قد يجب – الكذب فيها، أمرضنا عن ذكرها تجنباً للإطالة.

(٩) نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

(١٠) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢٤٧، ج ٨.

(١١) بحار الأنوار، ج ٧٢، ص ٢٥٩، ج ٢٢.

(١٢) الترغيب والترهيب للمنذري، ج ٣، ص ٥٩٢، ج ١٣.

(١٣) الذّرة الباهرة من الأهداف الطاهرة للشهيد الأول، ص ٤٣.